

مختصر ابن كثير

- 23 - إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم .
- 24 - يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون .
- 25 - يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين .
- هذا وعيد من الله تعالى للذين يرمون المحصنات الغافلات خرج مخرج الغالب { المؤمنات } فأمهات المؤمنات أولى بالدخول في هذا من كل محصنة ولا سيما التي كانت سبب النزول وهي عائشة بنت الصديق Bهما وقد أجمع العلماء رحمهم الله قاطبة على أن من سبها بعد هذا ورمها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية فإنه كافر لأنه معاند للقرآن وقوله تعالى : { لعنوا في الدنيا والآخرة } كقوله : { إن الذين يؤذون الله ورسوله } الآية وقد ذهب بعضهم إلى أنها خاصة بعائشة Bها قال ابن عباس : نزلت في عائشة خاصة وعن عائشة Bها قالت : رميت بما رميت به وأنا غافلة فبلغني بعد ذلك قالت : فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس عندي إذ أوحى إليّ قال : إذا أوحى إليّ أخذه كهيئة السبات وأنه أوحى إليّ وهو جالس عندي ثم استوى جالسا يمسح على وجهه وقال : " يا عائشة أبشري " قالت فقلت : بحمد الله لا بحمدك فقراً : { إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات - حتى بلغ - أولئك مبرؤون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم } (أخرجه ابن جرير) وقال الضحاك : المراد بها أزواج النبي خاصة دون غيرهن من النساء وقال العوفي عن ابن عباس في الآية { إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات } الآية : يعني أزواج النبي صلى الله عليه وسلم رماهن أهل النفاق فأوجب الله لهم اللعنة والغضب وبأؤوا بسخط من الله فكان ذلك في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ثم نزل بعد ذلك : { والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء - إلى قوله - فإن الله غفور رحيم } فأنزل الله الجلد والتوبة فالتوبة تقبل والشهادة ترد . وقال ابن جرير : فسر ابن عباس سورة النور فلما أتى على هذه الآية { إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات } الآية قال : في شأن عائشة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم وهي مبهمة (قوله وهي مبهمة : أي عامة في تحريم قذف كل محصنة) وليست لهم توبة ثم قرأ : { والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء - إلى قوله - إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا } الآية قال : فجعل لهؤلاء توبة ولم يجعل لمن قذف أولئك توبة قال فهم بعض القوم أن يقوم إليه فيقبل رأسه من حسن ما فسر به سورة النور وقد اختار ابن جرير عمومها وهو الصحيح ويعضد العموم ما رواه ابن أبي حاتم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى

اﻟﻌﺒﺎس ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻼﻡ ﻗﺎل : " ﺍﺟﺘﻨﺒﻮﺍ ﺍﻟﺴﺒﻊ ﺍﻟﻤﻮﺑﻘﺎﺕ " ﻗﻴﻞ : ﻭﻣﺎ ﻫﻦ ﻳﺎ ﺭﺳﻮﻝ ﺍﻟﻠﻪ ؟ ﻗﺎل : " ﺍﻟﺸﺮﻙ ﺑﺎﻟﻤﺎﻧﻮﻋﻴﻦ ﻭﺍﻟﺴﺤﺮ ﻭﻗﺘﻞ ﺍﻟﻨﻔﺲ ﺍﻟﺘﻲ ﺣﺮﻡ ﺍﻟﻠﻪ ﺇﻻ ﺑﺎﻟﺤﻖ ﻭﺍﻛﻞ ﺍﻟﺮﺑﺎ ﻭﺍﻛﻞ ﻣﺎﻝ ﺍﻟﻴﺘﻴﻢ ﻭﺍﻟﺘﻮﻟﻲ ﻳﻮﻡ ﺍﻟﺰﻫﺮﻑ ﻭﻗﺬﻑ ﺍﻟﻤﺤﺼﻨﺎﺕ ﺍﻟﻐﺎﻓﻼﺕ ﺍﻟﻤﺆﻣﻨﺎﺕ " (ﺃﺧﺮﺟﺎﻩ ﻓﻲ ﺍﻟﺼﺤﻴﺤﻴﻦ) . ﻭﻗﻮﻟﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ : { ﻳﻮﻡ ﺗﺸﻬﺪ ﻋﻠﻴﻬﻢ ﺍﻟﺴﻨﺘﻬﻢ ﻭﺍﻳﺪﻳﻬﻢ ﻭﺍﺭﺟﻠﻬﻢ ﺑﻤﺎ ﻛﺎﻧﻮﺍ ﻳﻌﻤﻠﻮﻥ } ﻋﻦ ﺍﺑﻦ ﻋﺒﺎﺱ ﻗﺎل : ﺇﻧﻬﻢ ﻳﻌﻨﻲ ﺍﻟﻤﺸﺮﻛﻴﻦ ﺇﺫﺍ ﺭﺃﻭﺍ ﺃﻧﻪ ﻻ ﻳﺪﺧﻞ ﺍﻟﺠﻨﻪ ﺇﻻ ﺃﻫﻞ ﺍﻟﺼﻼﺓ ﻗﺎﻟﻮﺍ : ﺗﻌﺎﻟﻮﺍ ﺣﺘﻰ ﻧﺠﻮﺩ ﻓﻴﺠﺪﻭﻥ ﻓﻴﺨﺘﻢ ﻋﻠﻰ ﺃﻓﻮﺍﻫﻬﻢ ﻭﺗﺸﻬﺪ ﺍﻳﺪﻳﻬﻢ ﻭﺍﺭﺟﻠﻬﻢ ﻭﻻ ﻳﻜﺘﻤﻮﻥ ﺍﻟﻠﻪ ﺣﺪﻳﺜﺎ .

ﻭﺭﻭﻯ ﺍﺑﻦ ﺃﺑﻲ ﺣﺎﺗﻢ ﻋﻦ ﺃﻧﺲ ﺑﻦ ﻣﺎﻟﻚ ﻗﺎل : ﻛﻨﺎ ﻋﻨﺪ ﺍﻟﻨﺒﻲ ﺻﻠﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻼﻡ ﻓﻀﺤﻚ ﺣﺘﻰ ﺑﺪﺕ ﻧﻮﺍﺟﺬﻩ ﺗﻢ ﻗﺎل : " ﺃﺗﺪﺭﻭﻥ ﻣﻢ ﺃﻀﺤﻚ ؟ " ﻗﻠﻨﺎ : ﺍﻟﻠﻪ ﻭﺭﺳﻮﻟﻪ ﺃﻋﻠﻢ ﻗﺎل : " ﻣﻦ ﻣﺠﺎﺩﻟﺔ ﺍﻟﻌﺒﺪ ﺭﺑﻪ ﻳﻘﻮﻝ : ﻳﺎ ﺭﺏ ﺃﻟﻢ ﺗﺠﺮﻧﻲ ﻣﻦ ﺍﻟﺰﻟﻤﻞ ؟ ﻓﻴﻘﻮﻝ : ﺑﻠﻰ ﻓﻴﻘﻮﻝ : ﻻ ﺃﺟﻴﺰ ﻋﻠﻲ ﺷﺎﻫﺪﺍ ﺇﻻ ﻣﻦ ﻧﻔﺴﻲ ﻓﻴﻘﻮﻝ : ﻛﻔﻰ ﺑﻨﻔﺴﻚ ﺍﻟﻴﻮﻡ ﻋﻠﻴﻚ ﺷﻬﻴﺪﺍ ﻭﺑﺎﻟﻜﺮﺍﻡ ﻋﻠﻴﻚ ﺷﻬﻮﺩﺍ ﻓﻴﺨﺘﻢ ﻋﻠﻰ ﻓﻴﻪ ﻭﻳﻘﺎﻝ ﻟﺄﺭﻛﺎﻧﻪ : ﺍﻧﻄﻘﻲ ﻓﺘﻨﻄﻖ ﺑﻌﻤﻠﻪ ﺗﻢ ﻳﺨﻠﻰ ﺑﻴﻨﻪ ﻭﺑﻴﻦ ﺍﻟﻜﻼﻡ ﻓﻴﻘﻮﻝ : ﺑﻌﺪﺍ ﻟﻜﻦ ﻭﺳﺤﻘﺎ ﻓﻌﻨﻜﻦ ﻛﻨﺖ ﺃﻧﺎﻭﺩ " (ﻭﺭﻭﺍﻩ ﻣﺴﻠﻢ ﻭﺍﻟﻨﺴﺎﺋﻲ) . ﻭﻗﺎﻝ ﻗﺘﺎﺩﺓ : ﺍﺑﻦ ﺃﺩﻡ ﻭﺍﻟﻠﻪ ﺇﻥ ﻋﻠﻴﻚ ﻟﺸﻬﻮﺩﺍ ﻏﻴﺮ ﻣﺘﻬﻤﺔ ﻣﻦ ﺑﺪﻧﻚ ﻓﺮﺍﻗﺒﻬﻢ ﻭﺍﺗﻘﺎ ﺍﻟﻠﻪ ﻓﻲ ﺳﺮﻙ ﻭﻋﻼﻧﻴﺘﻚ ﻓﺈﻧﻪ ﻻ ﻳﺨﻔﻰ ﻋﻠﻴﻪ ﺧﺎﻓﻴﺔ ﺍﻟﻈﻠﻤﺔ ﻋﻨﺪﻩ ﺯﻭﺀ ﻭﺍﻟﺴﺮ ﻋﻨﺪﻩ ﻋﻼﻧﻴﺔ ﻓﻤﻦ ﺍﺳﺘﻄﺎﻉ ﺃﻥ ﻳﻤﻮﺕ ﻭﻫﻮ ﺑﺎﻟﻠﻪ ﺣﺴﻦ ﺍﻟﻈﻦ ﻓﻠﻴﻔﻌﻞ ﻭﻻ ﻗﻮﺓ ﺇﻻ ﺑﺎﻟﻠﻪ .

ﻭﻗﻮﻟﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ : { ﻳﻮﻣﺌﺬ ﻳﻮﻓﻴﻬﻢ ﺍﻟﻠﻪ ﺩﻳﻨﻬﻢ ﺍﻟﺤﻖ } ﻗﺎل ﺍﺑﻦ ﻋﺒﺎﺱ { ﺩﻳﻨﻬﻢ } : ﺃﻱ ﺣﺴﺎﺑﻬﻢ ﻭﻛﺬﺍ ﻗﺎل ﻏﻴﺮ ﻭﺍﺣﺪ ﻭﻗﻮﻟﻪ : { ﻭﻳﻌﻠﻤﻮﻥ ﺃﻥ ﺍﻟﻠﻪ ﻫﻮ ﺍﻟﺤﻖ ﺍﻟﻤﺒﻴﻦ } ﺃﻱ ﻭﻋﺪﻩ ﻭﻭﻋﻴﺪﻩ ﻭﺣﺴﺎﺑﻪ ﻫﻮ ﺍﻟﻌﺪﻝ ﺍﻟﺬﻯ ﻻ ﺟﻮﺭ ﻓﻴﻪ